خطبة بعنوان: صنائع المعروف

يوم الجمعة: ١٤٤٠/١٢/٢٩هـ لفضيلة الشيخ الدكتور/ عبد العزيزبن أحمد البداح

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا . ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢]﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد...

فيا أيها المسلمون... من صور الولاء للمؤمنين السعي في قضاء حوائجهم، والكشف عن مكروبهم، وإغاثة ملهوفهم، وتعليم جاهلهم، والرفق بضعيفهم، وإدخال السرور عليهم، وقد أمر الله عز وجل بذلك، وعلق الفلاح على فعله فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَ افْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[الحج:٧٧]، ووعد عباده بالأجر العظيم على ذلك فقال جل وعلا: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[النساء:١١٤]، وبين سبحانه أن فعل المعروف، وبذل الخير للناس من صفات المتقين، وأهل الجنة فقال سبحانه:﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ*الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤]

أيها المسلمون... وفعل الخير، وبذل المعروف جزاؤه من جنسه. روى البخاري ومسلم أن النبي ﷺ قال:((...ومن كان في حاجة أخيه المسلم كان الله في حاجته، ومن كشف عن مسلم كربةً فرج الله عنه من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة)) وأهل الخير، وبذل المعروف هم أهل الجنة، وأول الداخلين إليها. روى الطبراني أن النبي ﷺ قال: ((أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة، وأول الناس دخولًا إلى الجنة هم أهل المعروف)).

أيها المسلمون...والله جل جلاله بفضله ورحمته يدفع عن أهل الخير وبذل المعروف الآفات. روى الطبراني أن النبي ﷺ قال:((صنائع المعروف تقي مصارع السوء))، والعبد في الدنيا معرض لكثير من الجائحات والآفات، لكن الله عز وجل يدفع عنه ذلك بسبب فعله للمعروف، وبذله الخير للناس.

أيها المسلمون... وفعل الخير، وبذل المعروف أحب الأعمال إلى الله عز وجل؛ ولهذا علامة حب الله لعبده، وإرادة الخير به أن يوفقه لبذل الخير، وبذل المعروف للناس. روى الطبراني أن النبي ﷺ سئل: ((أي الناس أحب إلى الله تعالى، وأي الأعمال أحب إلى الله؟ فقال ﷺ :أحب العباد إلى الله أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله سرورٌ تدخله على مسلم)).

أيها المسلمون... وينبغي للمسلم إذا وفق لبذل المعروف، وفعل الخير للناس أن يستحضر النية الصالحة، والإرادة الصادقة، فلا يرجو بعمله إلا وجه الله تعالى، والدار الآخرة، فلا يرغب من الناس أجرًا، ولا يؤمِّل في ثناء، ولا محمدة، وهذا هو شأن أهل الجنة، وعباد الله الصالحين كما قال عز وجل عنهم: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾[الإنسان: ٩]، وكما قال سبحانه عن الأتقى من عباده:﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى* الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى* وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ* إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ* وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾[الليل: ١٧إلى٢١]، وإذا وفق المؤمن لفعل الخير، وبذل المعروف فعليه أن يحذر مما يبطل ذلك، ويذهبه، ويذهب الأجر. فيحذر من المن، والأذى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ...﴾[البقرة: ٢٦٤]﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى ۗ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾[البقرة: ٣٤]، فلا يخاف المؤمن على حسناته فيعدها، أو يحسبها على الناس وإنما يخشى المؤمن من سيئاته.

أيها المسلمون...وإذا كان بذل المعروف في الإسلام هذا شأنه، وشأوه، فإن منع المعروف عن الناس من أعظم الآثام، وأكبر الخطايا قال عز وجل متوعدًا الذين يمنعون الخير عن الناس: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ*الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ*الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ* وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾[الماعون: ٤إلى٧]، وذكر عز وجل صفات أهل النار فقال سبحانه: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ* قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ* وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ﴾[المدثر: ٤٢إلى٤٤]، وقال عز وجل عن المستحقين لعذابه: ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ* فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ *وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾[الحاقة: ٣٤إلى٣٦]، و روى البخاري أن النبي ﷺ قال:((ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم، وذكر منهم ...ورجلٌ منع فضل ماء فيقول الله له يوم القيامة: أمنع عنك فضلي كما منعت فضل ما لم تعمل يداك)).

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، وتقبل الله مني ومنكم تلاوته إنه هو السميع العليم، أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه من كل ذنب إنه هو الغفور الرحيم.

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

اعلموا أن الله أمركم بأمرٍ بدأ فيه بنفسه، وثنى بملائكته، وثلث بكم أيها المؤمنون فقال جل من قائلٍ عليمًا ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[الأحزاب:٥٦]

اللهم صل وسلم وزد وبارك على عبدك ورسولك محمد، وارضَ اللهم عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء أبي بكرٍ وعمر وعثمان وعلي، وعن الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنَّا معهم بمنك وكرمك وجودك وإحسانك يا رب العالمين.